الجامعة العثمانية

الله والوطن — الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظاماً وفضلاء تعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة منصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقتدار من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٧ صفر سنة ١٣١٧

باب المقالات

كتاب مفتوح

مرفوع

الى حكام الشرق

ليس من غرضنا في هذا الكتاب المفتوح الذي نرفعه الى حكام الشرق بوجه الاجمال ان نبسط ما هو عليه الشرق من سكون الموت وما هو فيه الغرب من حركة الحياة لنقيم المآتم على مجد الشرق الفائت وعزه الماضي . ولا ان نبحث عن اسباب انحطاط الشرق التي هبطت به الى هذه الدركات بعد ان كان في اعلى الدرجات . ولا ان نصف دواء ناجعاً لمريض اعيت في شفائه الحيل وكاد يضيع فيه كل امل . وانما غرضنا الوحيد ان نوجه انظار حكام هذا الشرق العزيز الى امر لا يجهلونه فان الذكرى تنفع كل ذي نية خالصة وقلب سليم

***

في الغرب الآن حركة شديدة يتردد صوتها في فضائه تردداً يدوي صداه في الجهات الاربع . تلك الاطماع الاقتصادية حلت محل الاطماع السياسية وتنازع الدول البقاء في حلبة الاقتصاد والاستعمار

تنازع اشتركت فيه اعظم الدول قدراً واصغرها شأنا لانها رأت العظمة الحقيقية في تأييد الامور الاقتصادية وايقنت ان الدولة التي تسير على هذه الطريق تضع لمستقبلها اساساً وطيداً والدولة التي تتركها تهدم بنيانها بيدها وتسعى الى حتفها بظلفها . ذلك يطلق على جميع الدول من هولانده الميكرسكوبية الى انكلترا الضخمة واميركا الجبار الجديد الذي يضع قدمه الآن في هذا الميدان بعد رفعها عن صدر اسبانيا المسكينة

الغرب كله مندفع الآن الى ذلك الغرض اندفاع السيل الجارف لا يقوم شيء في وجهه . ولكن الى اي جهة اندفاعه ؟ واي ارض اتخذها مجالاً لفرسانه ؟

اندفاعه الى الشرق شقيقه الاكبر وسابقه في ادوار التمدن والعمران . اندفاعه الى هذا الذي كان بالامس قوياً فاصبح اليوم ضعيفاً . هذا الذي كان اسداً فمسخ حملاً . اندفاعه الى اسوار الصين التي ردت العدوان عن ابن السماء اجيالاً واجيالاً . وضفاف النيل التي كانت اول ما انبثق فيها فجر التمدن . وضفاف الكنج التي ضافته قروناً طوالاً . وضفاف دجلة والفرات حيث ابنع عوده وزها غرسه . وضفاف البوسفور من حيث كانت تعلو دمدمة ترتجف لها اسوار اوروبا . اندفاعه الى بلاد الفينيقيين وبلاد فارس وخرائب تدمر وقرطجنة واسيا الصغرى . اندفاعه

الى جميع بلاد الشرق كالنار تأكل كل مسافي طريقها اخضر وهشيماً

هذا هو الغرب الآن بازاء الشرق. انه يرى من واجباته ان يتجه بكل الوسائل الممكنة لتجارته ثم لنفوذه وسلطته قائلا انه يجري في ذلك على ناموس (تنازع البقاء) القاضي بتسلط القوي على الضعيف. وحكم النبيه البليد. والعامل الخامل. فهلا وجد الشرقيون ناموساً يجرون عليه في مقابل ناموس الغربيين؟ نعم هنالك ناموس فطري في الانسان وهو ناموس «الحرص على البقاء» مقابل ناموس «تنازع البقاء» فليدفع الشرقيون عن انفسهم بالتي هي احسن حرصاً على البقاء والا كانوا لقمة لاول آكل. وطعاماً لاول متناول

وفي مقدمة الشرقيين حكامهم الذين انيط بهم شرف رئاستهم وخدمتهم وذلك بدفع المفاسد عنهم وجلب المغانم اليهم فكلامنا مسوق الى هؤلاء الحكام لان في ايديهم رفع الشرق او حفظه. تخليصه او اهلاكه

***

اما الشرق الآن بازاء الغرب على ثلاثة اقسام. قسم انشب الغرب اظفاره فيه فلن يستطيع الى الخلاص سبيلاً. وقسم تمد له الآن الحبائل ليصاد بها اذا كان غرّا لا يحسن الاحتيال لخلاص نفسه. وقسم يرفع رأسه عجباً وكبراً لانه قطع تلك الحبائل او كفته حكمته خطر الوقوع فيها. ومن القسم الاول الهند ومصر والسودان وزنجبار وتونس والجزائر واقسام من الصين وغيرها. ومن القسم الثاني مراكش وايران وافغانستان وسيام والصين وسواها. ومن القسم الثالث الدولة العثمانية واليابان والحبشة وامارات كفلت اوروبا استقلالها

اما القسم الاول فلا خلاص له من تلك الاقفاص الا بعون من الله. وهو على قسمين قسم ضغط على حرية فكره فاستمات ولم يعد يشعر بوجود وطني له فكان ذلك تمهيداً للموت الادبي والوطني بعد الموت السياسي. وقسم اطلقت حرية فكره فوضع مصائبه نصب عينيه وشغله تعدادها وندب نفسه عن كل امر فيه نفع لمستقبله. فهنا على الحاكم واجب عظيم سواء كان محكومه مطلقاً او مقيداً. فانه اذا رقدت نفس ذلك الشعب المستعبد المسكين اوماتت فينبغي لنفس الحاكم ان تكون بالرغم عن اليد التي فوقها مستيقظة حية ترعى ذلك الطفل المقيد بعناية الوالد ورأفة الوالدة والاشفق ذلك الشعب وساء مصيراً

واما القسم الثاني فواجبات حكامه اهم واكبر من واجبات حكام القسم الاول. لان واجبات القسم الاول مقصورة على الوجه الايجابي وهو صنع الخير المجرد واليقظة والسهر وايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة اما واجبات القسم الثاني فتتناول الوجه الايجابي والوجه السلبي معاً. ذلك انه لايكفي اولئك الحكام ان يحسنوا الى رعيتهم بل ينبغي ان يهتموا بدفع الخطر عنها

واما القسم الثالث فاحسن حالاً من القسمين الآخرين وخلاص الشرق كله قد يكون متوقفاً عليه فانه السفينة التي قد يمكن للقسمين الاخرين ان يعبرا عليها بحر الغرب العجاج المتلاطم الامواج واذا تعذر ذلك على القسم الاول فلا ريب انه ميسور للثاني

***

ونريد بهذا الكلام مبدأ قلما سمعنا به وهو تحالف دول الشرق المضطهدة المهددة وصيرورتها يداً واحدة في الذود عن حوضها والدفاع عن نفسها. كل يعلم ان المصابين تجمعهم المصائب فما بالها في بلاد الشرق تزيدهم تفرقاً وتباعداً؟ كل يعلم ان الظلم يحمل المظلومين على مقاومة الظالم فما بال دول الشرق لا تتألب يداً واحدة لمقاومة الغرب الذي يريد خنق حريتها وقتل استقلالها؟ سمعنا بهذا او مثله يوما من الايام ولكنه كان كبرق خلب وسحاب جهام. فقد قيل منذ بضعة اشهر ان اليابان اضحت في خوف من ان الدول الاوروبية متى فرغت من امر تقسيم الصين عادت اليها فصنعت بها ما صنعته بالصين ولذلك عزمت على محالفة هذه المملكة لتكون معها يداً واحدة على اطماع الدول الاوروبية. فهل فكرت دولتنا العثمانية بما فكرت به اليابان؟

للدولة مثلاً سلطنة مراكش وافغانستان وايران اذا عقد بينها وبينهن عرى محالفة دفاعية وهجومية يعلو شأن الدولة وشأن هذه الدول معها. نعم ما كان ذلك ليرهب اوروبا القوية ولكنه يجعلها على الاقل تفكر ملياً قبل الاقدام على شر تريده باحدى هذه الدول المتحالفة. فاذا تم هذا التحالف في الشرق الادنى وتم تحالف الصين واليابان في الشرق الاقصى استراح الشرق بعض الاستراحة مما يجده من الاطماع الغربية

التحالف الخارجي اي تماسك الدول والممالك الشرقية ضد اتحاد الدول الغربية هذا هو المبدأ الجديد الواجب على حكام الشرق ان يضعوه نصب اعينهم. ولكن هل يكفي هذا

المبدأ الجديد وحده

كلا بل ينبغي الرجوع معه الى المبدأ القديم . وهو العدل في الرعية . المساواة بين الرعية . الاخاء بين عناصر الرعية . ثم يتلو ذلك انشاء المشروعات العمومي التي تعطي اعمالاً للرعية فتدر عليها اخلاف السعة والثروة . يليه تعميم التربية والتعليم في كل المدن والبلدان والقرى على قدر الاستطاعة .

***

فالى سادتنا حكام الشرق نرفع هذين المطلبين : التحالف فيما بينهم والعدل في الرعية . لقد تغير ايها السادة وجه الارض منذ حادثين وهما الثورة الفرنسوية . والحروب الاقتصادية الاستعمارية . فالاولى قلبت افكار الامم في الشرق والغرب فاصبحت رعية كل دولة تسخط على حكامها اذا شغلتهم عنها شواغلهم الخصوصية ومصالحهم الشخصية لانها ترى حكامها خداماً لها لا اسياداً عليها . وهذا السر في قيام بعض منها على الهيئة الحاكمة في بعض الاحيان

والثانية قلبت ما كان بين الشرق والغرب من العلائق السياسية فصار الغرب يرى الشرق فريسة له لا بد من قضمه وهضمه ما لم يرو الشرق انه مفترس وصعب على قدم الغرب ان ترفس مناخس

فالعدل العدل يا حكام الشرق تضمدوا به جراح امتكم . وتبطلوا حجج الغرب في تداخله بشؤونكم . وتزيلوا كل شكوى لرعيتكم . وتعمروا بلادكم . وتسعدوا وطنكم

والاتحاد الاتحاد يا ممالك الشرق تعلن به كلمتكم ويشتد ازركم فان القضبان الدقيقة تكسر واحداً واحداً ولكنها متى كانت حزمة واحدة عسر كسرها حتى على اقوى الاقوياء

ولهذا الكتاب ذيل تخلص بحكام دولتنا العلية اودعناه التماساً صادراً عن نية خالصة نرفعه بيد الاجلال والاحترام في احد الاجزاء الاتية

الطاعون

لحضرة الطاعي الفاضل الدكتور سليم شمعون

الطاعون مرض من نوع الحميات المعدية سببه مكروب من نوع الباشلس مستطيل الشكل مستدير الطرفين يظهر تحت المجهر دقيق الوسط لشدة مايتلون طرفاه بالمادة الملونة التي يحضر فيها . اكتشفه الدكتور كيتاساتو الياباني والدكتور يرسين سيفي ان واحد في هونغ كنغ في الصين . وهو ينمو في الحر المعتدل والبرد المعتدل ايضاً ويقتله الحر والبرد الشديدان ويحيا ويتكاثر في الاماكن القذرة الفاسدة الهواء التي لا يصيبها نور الشمس وتكثر فيها الرطوبة ولذلك كان اكثر انتشاره واشد فتكه بين الفقراء وفي الاماكن القذرة والبلدان الشرقية القديمة حيث الشوارع ضيقة لا يصيبها الهواء النقي ولا يطهرها نور الشمس وحيث تجتمع القذارة على اشكالها لعدم وجود المجاري . وهذه الاشياء اي الفقر والقذارة والجوع والطعام القليل الغذاء وانهاك الجسم بالسكر والسهر والاندفاع في الملذات وكل الاسباب المؤدية الى ضعف القوى انما هي اسباب معدة للمرض بمعنى انها تهيء للمكروب معدات حياته فينمو ويتكاثر ويشتد فتكه في حين انه اذا دخل بلدة نقية الهواء واسعة الشوارع مستقيمتها لا يحجب نور الشمس حاجب عن ارضها ومنازلها وحيث المجاري حسنة الوضع والماء النقي كثير فلا يعيش ولا يتكاثر . وهذا المرض من الامراض القديمة ذكره المؤرخون القدماء وزار اوروبا مراراً عديدة ايام كانت الشروط الصحية غير متوفرة في بلدانها والجهل وما يتبعه من سوء المعيشة فاشياً بين اهلها فتلك فتكاً ذريعاً ثم تقهقر عنها بتقدم علم الصحة وانتشار النظافة في كل ارضها واممها وبين طبقات الشعب . وانحصر بين الصين وبلاد تيبت وما بين النهرين وجعل تلك البلاد موطنه ولم يعد يسمع عنه شيء منذ نصف قرن حتى ان من يقرأ الكتب الطبية التي طبعت منذ ثلاث سنوات او ما قبلها لا يرى فيها ذكراً لهذا المرض الا على وجه الاختصار التام اعتقاداً انه مرض زال بزوال الجهل واصبح من الامراض التي طوتها الايام

اما اعراضه فتختلف باختلاف انواعه وقد قسمه المحققون في الهند الى نوعين وهما الدبولي اي الذي يظهر فيه تفخم والتهاب في الغدد الليمفاوية وغير الدبولي وهو ما لا يظهر في اثناء سيره ورم ما . والاول منهما اقل خطراً على المصاب من الثاني . وينطوي تحت النوع الاول الطاعون الفخذي وهو ما ظهر دبوله في الفخذ . والطاعون الابري وهو الذي تظهر دبوله في الابرية . ثم الابطي والعنقي واللوزي اي ما تضخمت فيه الغدد تحت الفك وصحبها التهاب في اللوزتين . وتكون هذه الدبول في اكثر الاحيان مفردة او متقابلة وكثيراً

ما تنتهي بالتقيح في الحوادث الشديدة. اما النوع غير الدبولي فشديد الخطر لا تظهر فيه الدبول في جسم المريض بل يبدأ بصداع وقشعريرة وارتفاع شديد في الحرارة وجفاف في اللسان واحمرار في العينين وآلام في الجسم وهي تنس الاعراض التي تصحب النوع الدبولي ايضاً ولكن يستعاض عن الدبول بالتهاب الرئتين وهو النوع الرئوي او التهاب في المعدة والامعاء ويسمى المعدي المعوي او في الكليتين ويسمى الكلوي او في الدماغ ويسمى الدماغي او ان يتسمم دم المريض من كثرة ما يفرز المكروب من السموم

ومدة سير المرض تختلف باختلاف شدته فقد تكون يومين او عشرة ايام ولكن مدة النقاهة تطول لشدة الضعف والهزال اللذين يعقبان الاصابات الشديدة

اما طريقة عدواه فتكون على الاغلب تلقيحاً اي ان يدخل المكروب من سحج او جرح في الجلد والغشاء المخاطي في الفم والانف والرئتين ولذلك كانت عدواه غير شديدة بالقياس الى غيره من الحميات كالجدري والتيفوس . وينسب بعضهم العدوى الى البراغيث والبق فانها تحمل المكروب من دم المريض او افرازه وتلقح الصحيح به بايصاله الى دمه مباشرة . ولا يبعد ان تكون العدوى بهذه الطريقة كثيرة الحدوث وخصوصاً بعد ان اثبت الفحص البكتريولوجي وجود المكروب في جوف البراغيث

والنوع الدبولي اقل عدوى من النوع الرئوي والمعدي لان المكروب يندفع في هذين الاخيرين من جسم المريض مع البلغم والبراز . وتخالطة المصابين تولد الداء وقلما ينتشر في الهواء واذا انتشر فالى مسافة قريبة جداً من المصاب

ونسبوا للجرذان فعلاً قوياً في نشر الداء فانها شديدة التعرض لعدواه وكثيراً ما يسبق انتشار الوافد بين الناس موت كثير من الجرذان بالعلة نفسها وانتقال هذه الجرذان المصابة من بيت مصاب الى بيت سليم ينقل معها الداء . وقد حققوا ذلك في الهند مؤخراً وكثيراً ما استدلوا على بداية الوافد من كثرة الجرذان الميتة بالمرض نفسه بدليل وجود مكروب الداء في جسمها

اما الوقاية منه فتنحصر في امرين وهما عدم الاختلاط بالمرضى او بالذين خالطوهم والنظافة التامة . فمن عمل بهذين الشرطين سلم من العدوى بدليل ما يجري في الهند فان كل المصابين في تلك البلاد هم من الوطنيين الا نفراً قليلاً جداً من الاجانب وهؤلاء اكثرهم ان لم يكونوا كلهم من الاطباء والممرضين الذين يقضون نهارهم وليلهم مع المرضى . اما باقي الاجانب فلم يصب احد منهم لنظافة اجسامهم ومنازلهم وملابسهم وطعامهم وشرابهم وعدم اختلاطهم بالمرضى

اما عدم الاختلاط فيكون بمنع الخدم من الاكثار من النزول الى الاسواق القذرة وعدم السماح لهم بالنوم خارج البيت ومنع البائعين والمتسولين من الدخول الى البيوت والكف عن عيادة المرضى مهما كان مرضهم والخروج الى الاماكن التي ليس فيها زحام . ويجب الاعتناء بنظافة الجسم والاستحمام الكثير وغسل الايدي قبل الطعام بالماء النقي والصابون اولاً ثم بمحلول الفنيك والسليماني وتقليم الاظفار حتى لا تجتمع الاوساخ تحتها . ويجب ان يغسل البيت مرتين في الاسبوع على الاقل ونترك النوافذ مفتوحة لكي لا يحجب الهواء ونور الشمس حاجب وان يعتنى العناية الشديدة بنظافة الكنف بان يطلق فيها الماء لكي لا تتصاعد منها الروائح الكريهة وينتبه الى ان تكون الشوارع نظيفة من الاقذار بان تكنس وتغسل بالماء . ويجب ان تكون الملابس نظيفة ايضاً وعلى الاخص ما لامس منها الجلد فانها لملامستها الجسم توصل اليه المكروب اذا كان عالقاً فيها واتفق ان في الجلد سحجاً او جرحاً ما . وذكر بعضهم انه لا حظ في الهند ان اكثر المصابين ممن يمشون حفاة الارجل وان الدبول يظهر فيهم في الفخذ او الاربية ونسب ذلك الى دخول المكروب من ارجلهم وانهم لو لم يكونوا حفاة لما اصيبوا واستدل على ذلك بان الاطفال قلما يظهر فيهم الدبول في الفخذ او في الاربية بل تحت الابط او في العنق وذلك لانهم لا يمشون على الاطلاق

والطعام يجب ان يكون سهل الهضم وان لا يحوي شيئاً نيئاً بل يجب ان يطبخ على النار لكي يموت كل ما به من المكروب وان تكن العدوى عن طريق المعدة قليلة الحدوث . ويجب الامتناع عن المسكرات والسهر الكثير وما من شأنه ان ينهك القوى لان مكروبات الامراض على اختلافها تنمو وتتكاثر في الاجسام الضعيفة اما الاجسام القوية فترد هجماتها وتقوى عليها وبذلك كان من اول شروط الوقاية من الامراض المعدية على انواعها ان يحفظ الجسم قوياً والاعضاء سليمة من الآفات لان قوة الجسم افضل واقٍ

اما تحلول الفنيك فيجب ان يكون على نسبة اربعة اجزاء من الحامض الفنيك النقي في كل مئة جزء من الماء . والسليماني يجب ان يكون على نسبة جزء واحد منه في كل الف جزء

من الماء وهذان المحلولان اي الفنيك والسليماني افضل قاتلات المكروب واشدها فعلاً

واذا حدثت في بيت اصابة فيجب ان يعزل المريض في غرفة خصوصية ينزع منها اثاثها وتترك نوافذها مفتوحة ولا يدخلها احد سوى الطبيب والممرض . وان تحفظ ارضها نظيفة بغسلها بمحلول السليماني ويضع بعضهم على الباب الموصل الى سائر الغرف ملاءة مبتلة باحد المحلولين المذكورين وافضلها السليماني لانه لا رائحة له . ويجب ان لا يختلط اهل المنزل بالناس الاصحاء بل ان يعزلوا انفسهم في البيت ويراعوا جميع الشروط الصحية ويتركوا النوافذ منتوحة ليلاً ونهار ويكثروا من استعمال الصابون والماء . فمن اعتنى بهذه الشروط الصحية امن انتقال المرض اليه اذ قل من يصاب به الا الذين يضعفون قواهم بالقذارة وسوء المعيشة وفساد الهواء والاحتجاب من نور الشمس

ويجب بعد شفاء المصاب او موته ان يحرق اثاث الغرفة او يطهر تطهيرًا حسنا وان تطهر الارض والجدران والسقف والابواب والنوافذ برشها بمحلول السليماني ثم تبيض وتدهن والافضل ان تطهر كل غرف البيت ثم تبيض ايضاً ويطهر كل متاع المنزل تطهيرًا حسنًا . وحرق الكبريت في الغرف لا يكفي ولا يصح الاعتماد عليه

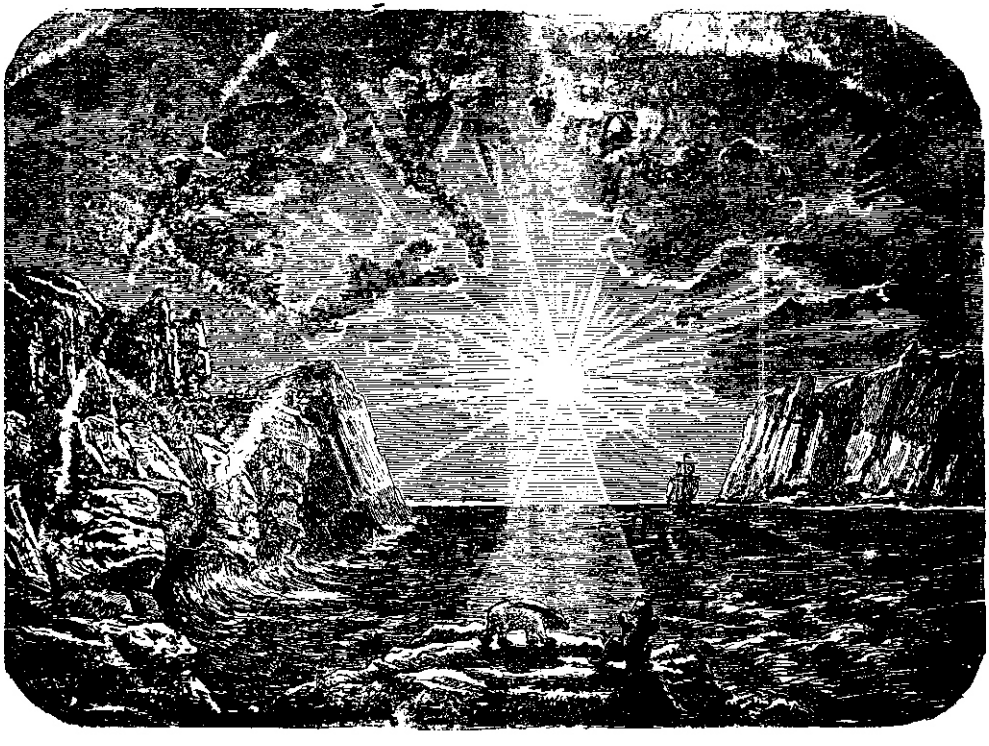

في القطب الشمالي — انظر المقالة التالية

مطالب النفوس الكبيرة

ومطالب النفوس الصغيرة

كنا ذات يوم في مجلس يزينه بعض السيدات فسألت احداهن عن انباء النهار فاجبنا ان لا جديد سوى اشاعة عن وجود بقايا الرحالة اندري وبعض من رفاقه . فقالت ومن هو اندريه هذا . فقلنا انه رجل نشيط جريء سافر في منطاد (بالون) الى القطب الشمالي رغبة في الوصول اليه بعد اذ لو اعيى هذا الامر من تقدمه من السياح وهو اول رجل يسير اليه في الهواء . ولما وصفنا ما هي عليه حالة الجهات القطبية وبسطنا الغرض الجيوغرافي والعلمي الذي توخاه ذلك المقدام اكبر الحاضرون أمر لاندري ورغبوا الينا ان نطلعهم على كل ما يُسمع عنه

ويحق لنا ونحن جلوس في منازلنا على بساط الراحة والسكينة حولنا الانوار الغازية والستائر الحريرية والمآكل الدسمة والاشربة الطيبة ان نكبر أمر رجل يترك هذه كلها ويخاطر بنفسه رغبة في الوصول الى جانب من الارض يكسوه الثلج الدائم لا قوت فيه غير الخبز اليابس ولا انيس غير الفحمة في البحر والدب على الثلوج ولكن ماقولنا اذا علمنا ان اميرًا من اكابر الامراء قد نبذ ايضًا تلك الملذات كلها واقدم على ما اقدم عليه الرحالة لاندري غير هياب ولا وكل

وهذا الامير هو الدوق دي زابروز ابن اخي الملك همبرت ملك ايطاليا. فانه عزم على السفر بحرًا لاكتشاف القطب الشمالي ولم يثنه عن عزمه هذا كل ما اتخذه ذووه من الوسائل لاقناعه بترك هذا السفر. وقد ارادوا ارهابه بقولهم انه سيلقى حتفه بين الثلوج القطبية كما لقيه لاندري فكان جواب هذا الامير الشاب: ان الانسان لا يموت مرتين فاذا مات في هذا السفر وهو يخدم الجوغرافيا والعلم مات سعيدًا حميدًا واذا عاش عاش سعيدًا حميدًا

ذلك ان نفوس البشر تختلف ملذاتها باختلاف اميالها ومشاربها. فزيد لذته ان يجمع الذهب اكواما في خزانته ويقفل عليه فلا ينتفع به احد. وعمرو لذته ان يتصدّر في قومه فيكون منهم مكان المركز من الدائرة. وبكر ان يصرف نهاره وليله في الحانات بين الاقداح والقداح. وخالد ان يثاب اعراض اصحابه ومعارفه لدى جلاسه دلالة على طلاقة لسانه. وآخر لذته ان يحشو جوفه بالمآكل الدسمة فلا تسمعه يتحدث الا باللحوم والخمور. وغيره سبت لبه الحسان والجمعيات الدنيوية فلا يرى في غيرها حياة وهناء. الى آخر ما هنالك

ولكن من حسن حظ الانسانية لكمال عمار هذه الارض ان يوجد فيها رجال تعلو نفوسهم عن هذه المطالب التافهة الحقيرة وتغلو في جو الحياة مسوقة الى الاغراض النبيلة والمطالب الشريفة. افراد من البشر يزهدون في تلك الطيبات المادية ويرغبون في طيبات « نفسية » فيقدّمون بها العالم ويرقون الانسانية. انظر الى نيوتن في معمله تائه الافكار في النواميس الطبيعية التي بين يديه ذاهلاً عن كل شيء في العالم حتى عن غذائه الذي فيه قوام حياته. انظر بالسي وراء اتونه يطعم النار اثاث منزله تحت المطر والبرد عازمًا على ان يموت ويفني كل ما يملكه او يتم اختراعه. انظر اديسن في معمله يصارع النواميس الطبيعية وباستور في مخبره يربي الجراثيم ويكتشف مبدأ يدفع به الانسانية الى امام دفعًا شديدًا. انظر جول سيمون وسبنسر في مكتبتيهما ينفاران في النواميس الفلسفية والادبية ويحلان عقدها. جو رفيع تتناجى فيه تلك النفوس الكبيرة وتحلق ارواحهم فيه فوق حيوانات نهمة شرهة تدعى بشرًا انوفها لاصقة بتراب الارض لتأكل مما عليها من الحشائش والدود وما اشبههما تسمى الطيبات المادية

وقد اراد الدوق دي زابروز ابن اخي الملك همبرت بسفره الى القطب الشمالي ان ينفض عن نفسه غبار هذه الارض ويحلق في ذلك الجو الرفيع جو النفوس الكبيرة التي تعيش فيه ثابتة الجأش نشيطة عاملة غير عائشة بما تجده فيه من الضيق والتعب والعناء لانها ترى الحياة فيه فخرًا والموت فخرًا ثانيًا. وقد قالت بعض جرائد ايطاليا ان الامة الايطالية تفتخر بسفر احد اعضاء اسرتها المالكة الى القطب الشمالي وحقها ان تقول ذلك وحق الامة الايطالية ان تفتخر بالدوق دي زابروز ونعم البلاد بلاد في نفوس امرائها وعظمائها من القوة وحب العلم والاستخفاف بالموت ما يدفعهم الى اقتحام اكبر الاخطار خدمة للعلم والحقائق العلمية

اما تفصيل سفر الدوق فاليك بيانه

يسافر الدوق دي زابرور في اواسط يونيو الجاري من لورويك قرب كرينستيانا على سفينة متينة ابتاعها وسماها « النجم القطبي » ويكون في صحبته من مهرة البحارة والادلة عشرون نفسًا فيهم طبيبان وقائدان للسفينة. ويكون حمل هذه السفينة ٣٥٠ طنًا من الفحم الحجري و٢٥٠ طنًا من المؤن والامتعة موضوعة في ١٥٠٠ صندوق ثقل كل صندوق منها ٢٥ كيلوغرامًا وذلك لتسهيل نقلها على ظهور الرجال حين الاقتضاء

وعند وصول السفينة الى اكانجليسك ينضم الى حاشية الامير ورفاقه ١٢٠ رفيقًا لا يستطيع ان يصل الى القطب من غير مساعدتهم وهم كلاب من كلاب الاسكيمو لجر المزالق التي تسير بهم على الثلج ومعها سواقها. وسيجري الدوق في سفره الى القطب على خطة لم يسبقه اليها احد مما يجعل الامل وطيدًا بوصوله اليه بعد رجوع جميع السياح عنه. وقد كانت خطة الرحالة تنسون ان يسلم سفينته الى الثلوج متى تراكمت عليها في البحر في فصل الشتاء فتذهب بها تلك الثلوج المحيطة بها من كل جانب الى حيث يجري بها تيار البحر لذلك لم يستطع تنسون ان يصل الى القطب بل اقترب منه ما امكنه الاقتراب. وكانت خطة لاندرسبرج المسكين ان يصل اليها راكبًا مطية الهواء والارجح انه لقي حتفه وراح شهيد اقدامه وكبر نفسه

اما الدوق دي زابروز فخطته انه عندما يجد ثلوج القطب

تصد السفينة عن التقدم الى امام لا يسلمها اليها كما فعل ننسون بل يفتش على بلدة قريبة او مكان على احد الشواطيء القريبة فيقيم فيه مدة فصل الشتاء كله حتى يذوب معظم تلك الثلوج التي تصده. وفي مدة اقامته في مشتاه هذا يرسل في الجهة التي يريد قصدها بعثات متتابعة تحمل الزاد والمؤن والامتعة شيئاً بعد شيء فتجعلها في محطات تقيمها على الطريق التي يريد اتباعها فيخف بذلك حمل البعثة اذ تكون فرقت معظم حملها على المحطات التي جعلتها امامها. فاذا انقضى الشتاء سار الدوق بالسفينة حتى لا يبقى الثلج سبيلاً للتقدم فيتخذ حينئذ المزالق متخذ المركبات والكلاب متخذ الجياد فيجلس مع بعض رفاقه بالمزالق و يسوق الكلاب المشدودة اليها مندفعاً بشدة وحماسة الى القطب الشمالي وهو على ثقة من النجاح باذن الله

وقد اخذ الدوق منطادين حتى اذا رأى نفسه مشرفاً على خطر ركبهما ونجا. وهو يرى ان مدة سياحته ستكون ١٨ شهراً الا اذا اقتضت الحال ان يشتي مرتين في تلك الجهات

ومما اخذه معه ايضاً آلات للعب والتسلية منها الشطرنج وآلات موسيقية منها القيثار والبيانو ليكون له على الاقل شيء من التسلية والتعزية في وسط المشاق والاتعاب التي سيعانيها في الجهات القطبية

***

والآن نرجو القارىء الكريم ان يوجه نظره الى الرسم السابق. فانه يمثل منظراً بديعاً من مناظر القطب الشمالي. الثلج كالجبال في البحر والبر والضباب هابط على الارض وشمس القطب صفراء من الم الفراق تودع قوماً في سفينة هناك انقطعوا بها عن العالم وخاطروا بانفسهم للاكتشاف العلمي. في هذه السفينة الدوق دي زابروز ورفاقه جلوس يتحدثون بامور ايطاليا وعظمتها الماضية. ولما قربت الشمس من المغيب امر الدوق فقاموا جميعاً على الاقدام لتوديعها وفي ايديهم آلاتهم الموسيقية. فاشار الدوق فرنت في تلك الاصقاع البعيدة المجهولة اناشيد التمدن الاوروبي تحيي كوكب النهار قبل دخوله الى كهف المغرب. فادهشت هذه الاصوات الجديدة النقمة في البحر والدب في البر فرفعت الاولى رأسها لترى هذا الامر الجديد واقبل الدب يرقص كما ترى في الرسم على انغام الموسيقى الايطالية ...

القتل بلا مسئولية

عنوان هذه البنذة يدل على موضوعها. وغرضنا ان نودعها بعض الحوادث الغريبة التي احدثها التمدن دلالة على ان الخير فيه ممتزج بالشر في اكثر الاحيان. ومعنى القتل بلا مسئولية ان يستطيع الانسان القتل متى اراده ويأمن العقاب لحيل يتخذها لاخفاء جريمته. منها ان امرأة اصيب زوج لها بقروح وكانت تريد ان تتخلص منه فأتت بمواد فاسدة مسمومة وجعلتها في اناء من زجاج ثم اخذت كثيراً من الذبان ووضعته في هذا الاناء فصار الذبان يأكل من تلك المواد وبعد قليل كشفت عن قروح زوجها وهو نائم واطلقت سراح الذبان فجعل يحوم على تلك القروح وينفث فيها من الفساد الذي اخذه من الاناء فالتهبت القروح بعد ايام وتسمم دم المريض فمات موتاً ظنه الاطباء طبيعياً. اما المرأة الاثيمة فبقيت مطلقة السراح اذ لم يعلم بجريمتها احد

ومنها ان زوجاً كره زوجته لسوء سلوكها فاضمر الشر لها. ففي مساء يوم دعاها الى التنزه معه على شاطىء البحر في مكان منفرد وكان الجزر كثيراً فسار بها وهو يلاطفها الى صخرة بعيدة عن الشاطىء وكان اوان المد اي ارتفاع مياه البحر فجعل الرجل يحادث امرأته ويشغلها عن الماء المرتفع حتى احاطت المياه بالصخرة من كل جانب وطغت عليها وقد كاد يهبط الظلام

لتفت اليها حينئذ وسألها هل تعرفين السباحة. قالت لا قال اما انا فقادر على السباحة فاستودعك الله ولكن اذكريني حوادثك معي. قال هذا وغاص في الماء وهي تصرخ وتناديه دون ان يلتفت اليها وما زال الماء مرتفعاً حتى غمرت الامواج تلك المرأة فغرقت التعيسة ونجا الرجل وهو يحسب انه لم يقتل نفساً

واغرب من هذا ما حدث في اميركا منذ بضعة اسابيع فقد اخترع احد الاميركيين في احدى الولايات وسيلة للقتل لم تمر يوماً بخاطر غير خاطره الشرير. ذلك ان احدى الممثلات الجميلات اتاها ذات يوم في البوسطة علبة جميلة فاخذتها ولم تكن تعلم من اين وردتها ولما ارادت فتحها انبعثت منها رائحة طيبة فحسبت انها هدية من احد اصدقائها فمدت يدها وفتحتها. الا انها ما رفعت عنها الغطاء حتى وثبت منها افعى صغيرة فلدغتها في وجهها فاغمي على تلك المسكينة من الخوف والالم. وقد فتش البوليس على مرسل هذه العلبة فلم يقف له على اثر والمظنون انه شاب يحب الممثلة وهي راغبة عنه في سواه

واغرب من ذلك وهذا ما ذكرته احدى المجلات العلمية عن امكان القتل بلا مسئولية . قالت . يكفي الامراة التي تريد التخلص من زوج ثقيل الوطأة عليها ان تغمس دبوساً لها في زجاجة فيها جراثيم التيفوس او الطاعون او الكوليرا ثم بين المزح والجد تخدش يد زوجها بهذا الدبوس فيصاب بالعلة التي تضع جراثيمها على دبوسها . وغرض هذه المجلة من هذا القول ان تشير الى شدة الخطر الذي يكون على الانسانية يوم يصبح كل فرد منها قادراً على توليد المكروبات وحفظها والاتجار بها . وقد زار يوماً الكاتب الشهير فرنسيسك سارسي الذي توفي في الاسبوع الماضي معمل باستور في باريز فقال له المسيو ديكلو مدير هذا المعمل وهو يريه زجاجات المكروبات « لدينا ما يقتل كل سكان باريز » فهل خطر يوماً ببال باستور العظيم وهو يشتغل بتربية المكروبات لمنفعة الانسانية انه كان يشتغل لمضرة الانسانية ؟

لم يخطر له قط ذلك ببال ولو سمع اليوم ما ذهب اليه بعضهم بشان هذه المكروبات لبقي مبهوتاً . ذلك انه وُجد اليوم من الكتاب من يشير باتخاذ المكروبات كالاسلحة في الحرب لقاتل بها الاعداء . قال . فما المانع مثلاً من ارسال منطاد (بالون) يحلق فوق العدو ويلقي عليه من فوق ما ينشر فيه مكروبات الامراض ؟ ما المانع اذا اردنا محاربة جيش ان نسير امام جيشنا جيشاً من الجرذان التي تحمل مكروبات الطاعون حتى اذا دنونا من العدو اطلقناها عليه فنشرت الطاعون في ارضه ومعسكره . وقس على ذلك مكروبات سائر الاوبئة القتالة

نقول ان الذئاب لو خطر لها يوماً من الايام ان تأكل بعضها بعضاً لما رضيت ان يصنع بعضها ببعض ما يريدان يصنعه الانسان بالانسان . ونحن الانسان المتمدن ان يصرف فكره وذكاءه في ما هو نافع لا في ما هو ضار فما اقربك من الحيوان ايها الانسان .

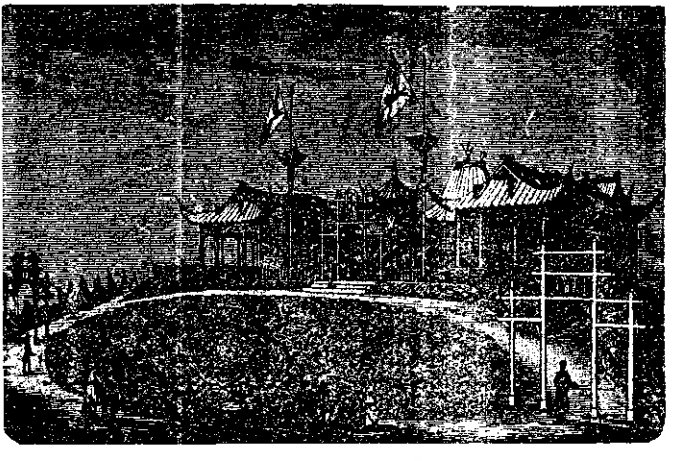

بناء صيني في حرش بولونيا في باريز